

العناية الصحية بالحجاج في عهد الملك عبد العزيز

أ. عفاف عوضه ظافر الشهري
كلية الآداب والإدارة – جامعة بيشة

ملخص البحث:

شهد عهد الملك عبد العزيز -رحمه الله- عنايته بحجاج بيت الله الحرام وتوفير سبل الراحة لهم والعناية بهم في مختلف الجوانب الحياتية منها العناية الصحية والتي تشكل جانب مهم في مواسم الحج لما يترتب عليها الحد من انتشار الأمراض والأوبئة وتحقيق السلامة والعافية المرجوة بين الحجاج وتوفير الطرق الوقائية والعلاج المناسب للمصابين. وقد تنوعت مظاهر حرصه -رحمه الله تعالى- بالعناية الصحية وقواعد تطبيقها في المجتمع السعودي ومنها فتح العيادات والمستشفيات والمراكز الصحية وأخيراً وزارة الصحة العامة وتسخيرها لخدمة المجتمع وضيوف بيت الله الحرام.

وفي هذه الورقة سيتم الحديث عن هذا الجانب وإبراز دور مؤسس المملكة في إرساء قواعد العناية الصحية بالحجاج والطرق والإجراءات التي اتبعها في سبيل تحقيق ذلك.

المقدمة:

تميزت مكة المكرمة بأنها مهوى الأفتدة وقبلة المسلمين وخير بقاع الأرض خصها الله تعالى بأن جعلها المكان المقدس لعبادته رغم طبيعتها البيئية القاحلة إلا إنها كثيرة البركة. قال تعالى: {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ}.^(١) وقال تعالى: { وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ }.^(٢) وقد شهدت مكة طوال تاريخها الإسلامي العناية والاهتمام من قبل كل مسؤول حسب الظروف والإمكانات المتاحة. وفي عهد الملك عبد العزيز شهدت نقلة نوعية وتاريخ ناصع لم يسبق له مثيل من الاهتمام والعناية الفائقة بالمنطقة وما جاورها خاصة في مواسم الحج وقد كان هذا الاهتمام نابغاً أولاً بالمنطقة لقداستها ثم الحرص على خدمة حجاج بيت الله الحرام. وخير شاهد على ذلك خطابه الذي ألقاه في الجلسة الافتتاحية لمجلس الشورى من عام ١٣٤٩ هـ حين قال يرحمه الله: "ولا أحتاج في هذا الموقف أن أذكركم بأن هذا البلد المقدس يتطلب النظر في ما يحفظ حقوق أهله وما يؤمن الراحة لحجاج بيت الله الحرام ولذلك فإنكم تتحملون مسؤولية عظيمة إزاء ما يعرض عليكم من النظم والمشاريع سواء كانت تتعلق بالبلاد أو بوفود الحجاج من حيث اتخاذ النظم التي تحفظ راحتهم واطمئنانهم في هذا البلد المقدس"^(٣). فقامت سياسته رحمه الله تعالى على عدد من الخطوات الثابتة، والرؤى المستقبلية بما يكفل راحة حجاج بيت الله الحرام منها تعزيز قيم الدين الحنيف، استتباب الأمن في البلاد عامة وطرق الحج خاصة، تأسيس جهاز إداري يرقى شؤون الحجاج، تخفيف الأعباء المالية التي كانت مفروضة على الحجاج، توفير الاحتياجات الضرورية للحج كالمياه والغذاء والمواصلات والصحة، عمارة

(١) سورة إبراهيم: آية ٣٧.

(٢) سورة الحج: آية ٢٧.

(٣) محمود بن محمد سفر: منهجية الرؤى المستقبلية للملك عبد العزيز في ترتيب أوضاع الحج (الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية

١٤١٩هـ) ص ٣٣.

الحرمين الشريفين وتهيئة المشاعر المقدسة، توثيق عرى التضامن بين المسلمين والنهج الحضاري في معاملة الديار المقدسة وأهلها.^(٤) ولأن مواسم الحج تتطلب المزيد من العناية بالصحة وأخذ التدابير اللازمة إذ إن فيها تكثر مخاطر انتشار العدوى نظراً للتجمعات والاختلاط وتعدد حوادث الإصابات، ومن الحجاج من هم بحاجة إلى العناية والمزيد من الرعاية الاستثنائية كمن هو مريض بمرض مزمن أو امرأة لها ظروفها الطبيعية الفسيولوجية أو كبير في السن أو وجود الأطفال فقد أولى الملك عبد العزيز اهتماماً خاصاً بالعناية بحجاج بيت الله الحرام وهذا يتضح من خلال إسهاماته في مجال الصحة وإدارة شؤون الحجاج والعناية بهم واستحداث طرق واجراءات علاجية ووقاية كان له السبق فيها. وقد جاءت هذه الورقة لرصد مظاهر العناية الصحية بالحجاج في عهد الملك عبد العزيز وبيان أثرها على سلامة الحجاج وازدياد أعدادهم.

العناية الصحية بالحجاج في عهد الملك عبد العزيز:

كانت الأوضاع الصحية في مكة تعتمد الطرق التقليدية المتوارثة في أساليب العلاج وبالدرجة الأولى التداوي بالكي والنار والأعشاب، وتجبر الكسور ومكافحة كافة الأمراض بالموروث الشعبي وما ورد نفعه في القرآن الكريم^(٥) كما وجدت بعض الأدوية والحبوب منها عقاقير يونانية وأخرى هندية يتم بيعها من خلال دكاكين عطارة بجانب المسجد الحرام ويتم مداواة المرضى على أيدي أطباء أجنبية قليلي العدد^(٦) أما المراكز والمستشفيات الصحية قليلة جداً مقارنة بما تطور واستحدث في عهد الملك عبد العزيز، فقد عرف بعض المستشفيات القديمة مثل مستشفى القبان، وفي مطلع القرن الرابع عشر الهجري أسس العثمانيون داراً للصحة في أجياد كان مكانها نقطة عسكرية للمدفعية ثم أصبحت فيما بعد إدارة للصحة العامة ومستشفى، كما وجد مستشفى باب شريف بجدة وآخر بالمدينة المنورة.^(٧) وبعض المحاجر الصحية البحرية التي عُرفت في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري نتيجة اشتداد وطأة الكوليرا وانتشارها وعلى الرغم من الإنفاق الباهض من قبل العثمانيين من أجل الحد من انتشار الوباء إلا أنهم كانوا عاجزين عن مقاومته ومنع سريانه إلى البلاد الأخرى.^(٨) كما شهدت المحاجر في العهد الهاشمي محاولات من قبل الحكومة البريطانية للتدخل في شؤونها، إضافة إلى وصفها بأنها كانت أماكن متعبة بالنسبة للحجاج من حيث ازدحامها، وسوء النظافة وإمدادات الطعام والتعرض لأعمال السرقة.^(٩)

ومن أكثر معوقات الحج في تلك الفترة انتشار الأمراض والأوبئة خاصة الجدري والكوليرا، وتلوث المياه، والتعرض لضربات الشمس القائلة وكل ذلك كان بحاجة لمخرجات علاجية ناجحة قائمة على أسس علمية فاعلة تحقق المستوى المطلوب من العناية الصحية والوقاية من الأمراض ولم يتحقق هذا إلا في العهد السعودي، وقد أدرك الملك عبد العزيز حجم مسؤولية ذلك ومع هذا كان يخاطب الحجاج لأداء فريضة الحج وييسر أمامهم العقبات فأعلن في سنة ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م "أن مكة على استعداد لقبول الحجاج وأن السبيل ميسور وأن هناك موانئ غير جده مفتوحة، فاستجاب للدعوة بعض حجاج الهند وبعض الأطراف من طريق ميناء راغ".^(١٠) ولحسن تديره -رحمه الله- الفضل في تطور العناية الصحية في الحجاز إذ جعل الصحة من أولى الاهتمامات، واستفاد من الخبرات الأجنبية، ودعم المشاريع الصحية وتوزع انتشارها والإبقاء على الخدمات الموجودة قبل عهده والعمل على تحسينها وتطويرها^(١١) وإصدار عدد من الأنظمة والأوامر لإنشاء مديرية الصحة العامة والإسعاف، ثم المراكز الصحية مما أدى إلى انتشارها في كثير من مدن المملكة وتكوين مجلس صحي بمكة لاتخاذ التدابير الوقائية اللازمة ومكافحة الأمراض، ثم تقسيم المملكة إلى ست مناطق صحية للإشراف على إدارة المستشفيات ثم أعيد تنظيم

(٤) محمود سفر؛ منهجية الرؤى . ص ٣٣.

(٥) عبد الله الصالح العثيمين؛ تاريخ المملكة العربية السعودية (الرياض: مكتبة العبيكان، ١١٠١هـ/١٤٣٥هـ) ص ٣٤٦. محمد حسين زيدان، التطبيب في البادية أو النار والطار (مجلة دار الملك عبد العزيز-العدد الثالث-جمادى ثاني ١٤٠١هـ) ص ١٠٢.

(٦) محمد طاهر الكردي؛ التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، تحقيق: عبد الملك بن دهيش (بيروت: دار خضر، ١٠١٠هـ/١٤٢٠هـ) ص ٢٨٧.

(٧) أحمد السباعي؛ تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران (الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ١٤١٩هـ) ص ٦٦٩. عمر صالح العُمري؛ الخدمات الصحية في عهد الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، ١٤٣٤هـ) ص ٢٢.

(٨) فؤاد حمزة، البلاد العربية السعودية، ص ٢٠٦.

(٩) وليد محمد جميل؛ مرافق الحج وخدماتها المدنية في عهد الملك عبد العزيز (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤١٩هـ) ص ١٤٤.

(١٠) السباعي، تاريخ مكة، ٢/٣٥٠.

(١١) الملك عبد العزيز وضع أسس ودعائم الحج (صحيفة الجزيرة، الأحد ١٣/٧/١٤٢٢هـ).

العمل الإداري واصبح يشمل ثلاث مندوبيات كل واحدة يتبعها عدد من المناطق، ومنذ عام ١٣٦٠هـ تحسنت ميزانية المملكة وازدادت القوى العاملة وأمر بعدد من المشروعات تقتضي إنشاء وتوسيع عدد من المستشفيات في الرياض وجدة والطائف مزودة بالأطباء والتجهيزات الفنية والطبية الكاملة. واستحدث عدد من المصحات العلاجية لمرضى السل والأعصاب، ثم شهدت الرعاية الصحية نقله نوعيه بارزة متمثلة في إرساء أسس النهضة الصحية الحديثة خاصة منذ تحويل مديرية الصحة العامة والإسعاف إلى وزارة الصحة عام ١٣٧٠هـ. وقد كان قوام النهضة الصحية يشمل إحدى عشر مستشفى عام في مختلف مناطق المملكة وخمسة وخمسون مستوصفاً مركزياً صحياً وعدد من الصيدالدة والممرضين والممرضات.^(١٦) كما منع كل من يمارس مهنة الطب أو الصيدلة أو بيع الأدوية ووصفها إلا بعد الحصول على رخصة أو تصريح بمزاولة المهنة من إدارة الصحة، وافتتح مدرسة التمريض الصحية للراغبين في الدراسة على منهج علمي رصين.^(١٧) وقد تعددت مظاهر عناية الملك عبد العزيز -رحمه الله- في مجال الرعاية الصحية بالمواطنين عامة والحجاج خاصة، تجلى ذلك بوضوح من خلال عدد من الاسهامات التي حرص فيها على سلامة الحجاج وتحقيق السلامة المرجوة لهم ومن مظاهر ذلك: عقد المعاهدات الصحية الدولية والعربية للتعاون معها والاستفادة من خبراتها والمحافظة على صحة الحجاج وعدم نقل الأوبئة من قطر إلى آخر ومن ذلك الاشتراك في أعمال منظمة الصحة العالمية في باريس والانضمام إلى اتفاقية روما الصحية سنة ١٣٥٠هـ^(١٨) كما ساهمت منظمة الصحة العالمية بدور في مكافحة انتشار الأمراض اذ قام فريق من المنظمة بزيارة المملكة واجراء فحوص مختبرية في البحث عن الأمراض ومعالجة عدد من المصابين وفي عام ١٣٥٨هـ وافق الملك عبد العزيز على طلب وزارة الخارجية العراقية على تبادل السلطات الصحية بين البلدين حال تفشي الأوبئة واتخاذ الاجراءات اللازمة لذلك،^(١٩) وكان الهدف من هذه المعاهدات بشكل عام تعزيز التفاهم والتعاون الدولي وتحقيق السلام العالمي وهذا بلا شك عزز من مكانة المملكة وبرز دورها على الصعيد الخارجي عربياً وإسلامياً ودولياً.^(٢٠) وتوفير المؤسسات العلاجية من مراكز الصحة العامة والإسعاف مثل: مستشفى جiard والذي قال عنه أحد الحجاج الذين زاروا مكة لأداء فريضة الحج بأن ميناه من الداخل "جميل رائع وجذاب يفرح القلب"^(٢١) ومستشفى ومستوصف القبان، مستوصف الشبيكة، مستوصف المعلى، ومستوصفي المعابدة وجرول والذين تم الموافقة على إنشائها سنة ١٣٦٤هـ^(٢٢) وفي أيام الحج على الطريق بين مكة ومنى وعرفات تقام المراكز الآتية:

١- مركز المنحنى واقع بين البياضة ومنى .

٢- مركز مجر الكبش في أول منى .

٣- مستشفى منى.

٤- مركز المجزرة بمنى.

٥- مركز وادي النار قبل مزدلفة.

٦- مركز المزدلفة .

٧- مركز الأخشبين.

٨- مركز البازان قبل عرفات.

٩- مركز عرفات.

وتكون عبارة عن مظلات يوجد فيها طبيب ورجال صحة وكمية من الماء وما يلزم للإسعاف من أدوية ووسائط لنقل المرضى المصابين ويستدل على هذه المراكز أثناء النهار بالأعلام البيض والخضراء وفي المساء يشار إليها بالضوء الأحمر المرفوع^{٢٣}. كما أقيمت عدداً من المراكز

^(١٦) عمر صالح الغمري: الخدمات الصحية ، ص ٢٢-٣٠.

^(١٧) أم القرى ، ٨٨ع، ١٣٤٥/٢/١١، ص ٢. أم القرى ع- ٩٠، ١٣٤٥/٢/٢٥، ص ٣. أم القرى ع٢/٢٩١، ١٣٤٥/٣/٢٥، ص ٤.

^(١٨) فؤاد حمزة: البلاد العربية ، ص ٢١٢.

^(١٩) عمر صالح الغمري: الخدمات الصحية ، ص ٤، ٢٧.

^(٢٠) إيمان إبراهيم كفي: الحياة الاجتماعية بمكة المكرمة في عهد الملك عبد العزيز آل سعود -رحمة الله- (جامعة أم القرى: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، ١٤٢٦هـ) ص ٥٥.

^(٢١) غلام رسول مهر: يوميات رحلة في الحجاز ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م، ترجمة: سمير عبد الحميد إبراهيم(الرياض: إصدارات داره الملك عبد العزيز، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م) ص ٦٩.

^(٢٢) أم القرى ، ع١٠٧٩، ١٣٦٤/١٢/٤، ص ٤.

^(٢٣) أم القرى ، ع٣٨١، ١٣٥٠/١١/٢٤، ص ٢.

الصحية في الطرق الخاصة بقدوم وعبور الحجاج والمؤدية إلى مكة منها مستشفى بحرة بين مكة والمدينة، ومستوصف في المسيجيد بالقرب من المدينة ومركز صحي براغ^(٢٠).

كما حظيت المرأة بعناية صحية خاصة وتوفير المؤسسات العلاجية المناسبة لخدمتها حيث أنشأ في سنة ١٣٧١هـ مستشفى الولادة والجراحة النسائية بجدة وفي العام الذي بعدة افتتح مستشفى الولادة بمكة بجروول مكون من قسمين للتوليد والعناية بالحوامل والأطفال والأخر خاص بأمراض النساء، واستحدث في مكة مستشفى الملك عبد العزيز بالزاهر والذي احتوى على عدد من التخصصات العلاجية في الأمراض المتعلقة بالأذن والحنجرة وأمراض العيون والباطنية والأطفال^(٢١).

وكان لوجود المراكز الصحية أثر كبير في الحد من الأمراض المعدية كالزهرى والجدرى والكوليرا وأمراض العيون والتصدي لانتشارها بنسبة عالية^(٢٢) وحفاظا على سلامة الحجاج ونظافة البيئة وضع المحجر الصحي في جزيرتي سعد والواسطة جنوب جدة، للتأكد من خلو القادمين من الحجاج وغيرهم من الأمراض ومما يميز هذه المحاجر أنها مزودة بكافة الإمكانيات المساعدة من كهرباء وآلة تقطير الماء وحمامات وقاعات كبيرة للمحجورين ومستشفى وصيدلية كما طبقت فيها النظام الصحي الدولي من حيث معاملة البواخر والركاب والحجاج^(٢٣).

كما عقد المجلس الصحي العام الأول والثاني تحت رئاسة الأمير فيصل -رحمة الله تعالى- للاهتمام بأمور الصحة وفق عدد من الإجراءات المهمة لخدمة حجاج بيت الله الحرام منها: تحديد المسلخ ومحل بيع الأضاحي في منى وتطويقها بأسلاك شائكة، تخطيط الطرق والممرات من عرفات ومنى على طريقة فنية تؤمن راحة الحجاج وصحتهم، تعمير المراحيض القديمة وتجديدها، تأليف لجنة من مأموري الصحة والبلدية ومشايخ المطوفين لتعيين وتحديد مناطق الحجاج في عرفات، تغطية مجرى عين زبيدة في عرفات لمنع تلوثه وتأسيس حنفيات للماء^(٢٤).

كما تم تكليف رؤساء الصحة العامة بمتابعة الأمور الصحية والتأكد من سلامتها ومن تلك الأمور مراقبة نظافة مساكن الحجاج ومنع الازدحام فيها ونقل المصابين بالأمراض المعدية من الحجاج إلى المستشفى ومعالجتهم فيها، التأكد من نظافة الشوارع والأزقة ومنع بيع المأكولات والمشروبات المضرة بالصحة ومنع ازدحام الباعة، والانتباه لنظافة المياه وحفظها سالمة من الجراثيم الممرضة ومنع كل ما من شأنه الإضرار بصحة الحجاج ، اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمنع الضرر من تعفن الأضاحي، وتأمين كل الاحتياطات بمنى ومزدلفة وعرفات للمحافظة على صحة الحجاج^(٢٥).

وقد تكلفت جهود الملك عبد العزيز -رحمة الله- بما نتج عن هذه العناية الصحية من آثار في صالح المجتمع والأفراد منها تحقيق العناية الصحية و السلامة والعافية المرجوة، الحد من انتشار الأمراض والأوبئة، نشر الوعي الصحي بين الحجاج، تحقيق المزيد من الراحة والطمأنينة والأمان الصحي أثناء أداء مشاعر الحج، فمن خلال عمل مظلات للحجاج في الطريق بين عرفات ومكة سهل تنقلاتهم، وأيضاً ساعد توفير عدد من سيارات الإسعاف على نقل الحجاج العاجزين أو المصابين نتيجة تعرضهم لضربات الشمس القاتلة^(٢٦).

كما كان لوعي الصحي فوائد من حيث تثقيف الناس بأهمية التطعيم للتصدي للأمراض المعدية والحرص على النظافة، ومن فوائد الوعي الصحي أصبح هناك اقبال على الأطباء كلما دعت وزارة الصحة إلى التطعيم فأصبحت المستشفيات والعيادات مليئة بالناس، وأزيلت الأمراض المعدية أما قبل ذلك كان الناس يخشون الأطباء ويهربون منهم^(٢٧) ربما نتيجة الجهل بأهمية المعالجة وضرورة الالتقاء من المرض

(٢٠) أم القرى، ع ٢٧٩، ١٣٤٨/١١/١٣، ص ١؛ أم القرى، ع ٣٣٧، ١٣٥٠/١/١١، ص ١؛ أم القرى، ع ٧٧٩، ١٣٥٠/١٠/١٣، ص ٤.

(٢١) أم القرى ع ١٣٩٧، ٢٧/٤/١٣٧١، ص ٢. عمر صالح الغمري: الخدمات الصحية، ص ٢١.

(٢٢) محمد زيدان، التطبيب في البادية، ص ١١٤.

(٢٣) أم القرى، ع ٧٦٤، ١٣٤٤/١٢/٤، ص ٤. فواد حمزة، البلاد العربية، ص ٢١٥.

(٢٤) أم القرى، ع ١١٢٤، ١٣٤٥/٨/١، ص ٢.

(٢٥) أم القرى، ع ١١٢٤، ١٣٤٥/٨/١، ص ٤.

(٢٦) أم القرى، ع ١٨١، ١٣٤٦/١٢/١٩، ص ١.

(٢٧) أم القرى، ع ١١٤، ١٣٤٣/٧/٢٦، ص ٤. وليد جميل، مرافق الحج وخدماتها، ص ١٣٥. محمد زيدان، التطبيب في البادية، ص ١١٥.

قبل الإصابة به، كما عنيت مديرية الصحة العامة إصدار التعليمات وإرشادات صحية عامة للحجاج تتضمن اتباع تعليمات صحية مهمة مثل: الاحتراز من التعرض لأشعة الشمس، عدم السير تحت أشعة الشمس بين الضحى والعصر مكشوف في الرؤوس إلا بوضع مظلات واقية مبللة بالماء، أن يجعل الحجاج سيرهم وانتقالهم ليلاً أو طرفي النهار، مراجعة مستوصفات الصحة ومستشفياتها حال الشعور بأي تأثير أو صداع أو دوار، من لم يتمكن من مراجعة مستوصفات الصحة ومستشفياتها لأجل التداوي من ضربات الشمس يمكن معالجته معالجة ابتدائية بوضعة في الظل وصب الماء البارد على رأسه، التنويه باستعداد مستوصفات ومستشفيات إدارة الصحة على تقديم أي مساعدة للحجاج من ذلك التلقيح ضد الجدري، كما أوصت إدارة الصحة بشرب الماء بعد غليه وتبريده وغسل الخضار والفواكه جيداً قبل أكلها، وتوقي قرص البعوض باستعمال الناموسيات في النوم.^(٢٨)

ومن آثار العناية بالحجاج والحرص على سلامتهم وراحتهم كانت إدارة شؤون الحج تحرص على استقبالهم وتيسير إجراءاتهم وتهئية أماكن نزولهم والعناية بحركة تنقلاتهم وتنظيم أمورهم حتى في تأدية المناسك إلى أن يغادروا البلاد والأهم من ذلك مساعدة الصحة والإسعاف في ترتيب الرحلات بين مكة والمدينة، وإقامة المخيمات في المحطات الرئيسية لاستراحة الحجاج وفي ساحة المناخة بالمدينة.^(٢٩)

كما تم إضاءة الطريق بين مكة ومينى إلى عرفات وإقامة عدد من المظلات في بيت الله الحرام لاتقاء المصلين من حرارة الشمس وما تسببه لهم من أضرار صحية وفي الطرقات بين مكة وعرفات منها مظلة كبيرة أو قاعة كبيرة في جرول لتأمين راحة القادمين من جدة وفي منتصفها حوض ماء جلبت إليه الماء بواسطة المواسير الحديدية. كما أقيم إلى جانب تلك المظلات مستوصفات صحية سيارة مجهزة بالأدوية اللازمة للإسعاف وإتمام مستشفى بحرة بين مكة وجدة.^(٣٠)

أيضاً ساهمت تطور الخدمات الطبية في مكة على نجاح مواسم الحج وتحقيق السلامة المرجوة ففي عام ١٣٤٩ هـ، كانت الأوضاع الصحية أفضل نتيجة توفر المستشفيات وتزويدها بما تحتاجه من كوادر طبية وفنية بالإضافة إلى سلامة الطرق الرئيسية ونظافتها نتيجة رشها بالماء بمعدل ثلاث مرات يومياً لمنع تطاير الرمال.^(٣١)

كما أثرت العناية الصحية على الحجاج من الفقراء والمحتاجين وعامة الناس في تلبية احتياجاتهم وهذه أمور تميزت بها المملكة عن غيرها من الدول منذ نشأتها فحظي بالعناية الصحية جميع الجنسيات ومختلف الطبقات وكان العلاج يقدم إلى جانب الخدمات المساعدة من سكن وإيواء ومأكل ومشرب بالمجان وهي ظاهرة لاتزال بفضل الله نشهد بها في وقتنا الحاضر فله الحمد والشكر. ومن أجل تهئية المكان والإقامة والبيئة المناسبة للحجاج وضع لجنة خاصة للتأكد من تحقيق السكن الملائم وراحته و نظافته^(٣٢) إذ أنها قبل ذلك نادراً ما تكون نظيفة والتأكد من صلاحية مياه الشرب، فبعد أن كانت المياه في عرفات قليلة وغير نظيفة وتباع بسعر غال أصبحت خلال حكم الملك عبد العزيز لاسيما في مواسم الحج نقية تباع بكثرة وبأسعار معتدلة كما أقام بعض السبل عند بئر زمزم لتوزيع الماء مجاناً على عامة الناس والفقراء ولتحقيق المزيد من العناية أنشأ نحو عشرين حماماً بذي حليفة وستة حمامات في المخيم الحكومي خارج جدة لفقراء الحجاج، وأنشأ مخيماً خاص بالتائهين في عرفات ومينى لإيوائهم وإطعامهم والعناية بهم. كما أثر وجود بلدية مكة والتي انشئت عام ١٣٤٥ هـ في تحقيق صحة البيئة ونظافة الشوارع وهي أمور مهم كلا من الحجاج وسكان مكة.^(٣٣)

^(٢٨) ام القرى، ٣٨١ع، ١١/٢٤، ١٣٥٠هـ، ص ١

^(٢٩) خير الدين الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز (بيروت: دار العلم للملايين، ٥، ١٩٨٨م) ص ٣٥٦.

^(٣٠) ام القرى، ٢٧٩ع، ١١/١٣، ١٣٤٨هـ، ص ١

^(٣١) وليد جميل، مرافق الحج وخدماتها، ص ١٢٩.

^(٣٢) ام القرى، العدد ٧٢٥، ١٣٥٧/٩/٥، ص ٥.

^(٣٣) وليد جميل، مرافق الحج وخدماتها، ص ١٢٥، ١٣٦، محمد بن سليمان الخضير، أمن الحج في عهد الملك عبد العزيز، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية (مجلة الامن- العدد السابع عشر - ذو القعدة ١٤١٩ هـ) ص ٥٤، ٩٦-٩٥، الزركلي، الوجيز، ص ٣٥٦، حمد بن عبدالله العنقري، نماذج من عناية الملك عبد العزيز بالحج (مجلة دار الملك عبد العزيز- العدد الرابع - شوال ١٤٢٦ هـ) ص ٣٦١-٣٨٦.

ومن آثار العناية الصحية بالحجاج تيسير سبل العلاج المناسب وبأسر الطرق فبعد ما كان الحجاج في الماضي يلاقون صعوبة جمة من ناحية العلاج والوصول إلى المستشفيات لأخذ العلاج اللازم، أصبح الوضع ميسرا في عهد الملك عبد العزيز وبفضل مجي الخير من خلال تقديم الإسعافات الأولية والخدمات الصحية^(٣٤).

كما أثمرت العناية الصحية في ازدياد أعداد القادمين للحج من مختلف الديار الإسلامية فبلغ عدد القادمين للحج كبارا وصغارا خلال عشر سنوات من عام ١٣٤٤-١٣٥٤ هـ ما يقارب ٦٤٤٧١٩، وفي عام ١٣٧٠ هـ بلغ أعداد الحجاج القادمين بحرا وجوا ١٠٠,٥٨٧ حاجاً،^(٣٥) كما شهدت هذي الفترة قلة أعداد المرضى والوفيات من الحجاج وانعدام الأمراض السارية وتدني نسبة الحوادث وهذه الإنجازات تعكس مدى الجهد المبذول والسعي المشكور الذي قام به الملك عبد العزيز -رحمه الله- في سبيل تحقيق العناية الصحية بحاج بيت الله الحرام، وقد وصف فليبي أثناء أداء فريضة الحج ١٣٥٠ هـ مما رآه من خدمات صحية وصحة الحجاج وأبدى إعجابته بذلك. بل إن الملك عبد العزيز كان يحرص على إتمام الحج على أكمل وأتم حال فعلى سبيل المثال أعلن في عام ١٩٣٢م أن حالة الحجاج الصحية جيدة بشكل عام وخلو الحج من الأمراض.^(٣٦)

والحديث والبحث عن العناية الصحية بالحجاج في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله يطول ومما يعكس لنا جانب من حرصه -رحمه الله- وعنايته خطابه في موسم حج ١٣٥٦ هـ حين قال "إيها الإخوان إنكم أتيتم من بلاد بعيدة، وضربتكم في البحار ترجون رحمة الله، وهي قريبة إذا رجوتموها، وهذا هو الخير والرحمة، وليس لكم عندي إلا ثلاثة أمور: الأول النصيحة فيما يوافق كتاب الله وسنة رسوله، والثاني: إني أشفق عليكم من أهلكم وعيالكم، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منكم. والثالث: السهر على مصالحكم ورعاية شؤونكم"^(٣٧) ومن خلال عرض الجهود التي بذلت للعناية الصحية بالحجاج يجعلنا نؤمن بمقولة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد -رحمه الله- بأن تاريخ الملك عبد العزيز -رحمه الله- لم يكن تاريخ توحيد وتأسيس كيان كبير فحسب: بل كان تاريخ عطاء، وبناء تنمية على أسس علمية منهجية فنية تؤمن بالعلم كما تؤمن بالإيمان، وتنطلق من الاهتمام بالإنسان والعناية به باعتباره العمود الفقري للتنمية والعطاء.^(٣٨)

مراجع البحث:

- أحمد السبيعي؛ تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران (الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ١٤١٩هـ، ج٢).
- إيمان إبراهيم كفي: الحياة الاجتماعية بمكة المكرمة في عهد الملك عبد العزيز آل سعود -رحمة الله- (جامعة أم القرى: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٢٦هـ).
- خير الدين الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز (بيروت: دار العلم للملايين، ط ٥، ١٩٨٨م).
- صالح بن علي أبو عراد، المنطلقات التربوية الرئيسة في خطب الملك عبد العزيز وأثرها في بناء المجتمع السعودي وتنميته (جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، المؤتمر العالمي الثاني عن تاريخ الملك عبد العزيز، ٢٠٠٠-٢١/٥/١٤٣٦هـ).
- عبد الله الصالح العثيمين؛ تاريخ المملكة العربية السعودية (الرياض: مكتبة العبيكان، ط ١١، ١٤٣٥هـ).
- عمر صالح العُمري: الخدمات الصحية في عهد الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود ١٣٧٣-١٣٨٤هـ/١٩٥٣-١٩٦٤م (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، ١٤٣٤هـ).

^(٣٤) محمد طاهر، التاريخ القويم، ٢٨٩/٢.

^(٣٥) الزركلي، الوجيز، ص ٣٥٧، فؤاد حمزة، البلاد العربية، ٢١٩.

^(٣٦) محمد الخضيري، أمن الحج، ص ٧٩، ٨٨.

^(٣٧) محمد الخضيري، أمن الحج، ص ٤٠.

^(٣٨) صالح بن علي أبو عراد، المنطلقات التربوية الرئيسة في خطب الملك عبد العزيز وأثرها في بناء المجتمع السعودي وتنميته (جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، المؤتمر العالمي الثاني عن تاريخ الملك عبد العزيز، ٢٠٠٠-٢١/٥/١٤٣٦هـ) ٢٥٢/١.

- غلام رسول مهر: يوميات رحلة في الحجاز ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م، ترجمة: سمير عبد الحميد إبراهيم(الرياض: إصدارات دار الملك عبد العزيز، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).
- فؤاد حمزة: البلاد العربية السعودية (الرياض: مكتبة النصر الحديثة، ط٢، ١٣٨٨هـ).
- محمد طاهر الكردي: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، تحقيق: عبد الملك بن دهيش (بيروت: دار خضر، ط١، ١٤٢٠هـ).
- محمود بن محمد سفر؛ منهجية الرؤى المستقبلية للملك عبد العزيز في ترتيب أوضاع الحج(الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ١٤١٩هـ).
- وليد محمد جميل؛ مرافق الحج وخدماتها المدنية في عهد الملك عبد العزيز ١٣٤٣-١٣٧٣/١٩٢٤-١٩٥٣م (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤١٩هـ).
- (الدوريات)
- حمد بن عبدالله العنقري، نماذج من عناية الملك عبد العزيز بالحج (مجلة دار الملك عبد العزيز-العدد الرابع -شوال ١٤٢٦هـ).
- محمد بن سليمان الخضيري، أمن الحج في عهد الملك عبد العزيز، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية (مجلة الأمن-العدد السابع عشر -ذو القعدة ١٤١٩هـ).
- محمد حسين زيدان، التطبيب في البادية أو النار والعتار (مجلة دار الملك عبد العزيز-العدد الثالث-جمادي ثاني ١٤٠١هـ).
- الملك عبد العزيز وضع أسس ودعائم الحج (صحيفة الجزيرة، الأحد ١٣/٧/١٤٢٢هـ).موقع إلكتروني (صحيفة ام القرى)

أم القرى، ١١ع، ٢٦/٧/١٣٤٣هـ
 أم القرى، ع٧٦، ٤/١٢/١٣٤٤هـ
 أم القرى، ع٨٨، ١١/٢/١٣٤٥هـ
 أم القرى ع٩٠، ٢٥/٢/١٣٤٥هـ
 أم القرى ع٩١، ٢/٣/١٣٤٥هـ
 أم القرى، ع١١٢، ١/٨/١٣٤٥هـ
 أم القرى، ع١٨١، ١٩/١٢/١٣٤٦هـ
 أم القرى، ع٢٧٩، ١٣/١١/١٣٤٨هـ
 أم القرى، ع٣٣٦، ٤/١/١٣٥٠هـ
 أم القرى، ع٣٣٧، ١١/١/١٣٥٠هـ
 أم القرى، ع٣٨١، ٢٤/١١/١٣٥٠هـ
 أم القرى، ع٧٧٩، ١٣/١٠/١٣٥٨هـ
 أم القرى، ع١٠٧٩، ٤/١٢/١٣٦٤هـ
 أم القرى ع١٣٩٧، ٢٧/٤/١٣٧١هـ